ديزيره سقال



الطبعة الثانية

٢٠٢٠

ديزيره سقال



الطبعة الثانية

٢٠٢٠

تُميتُ عيناكِ الجراحَ

– ١ –

وتغورُ أَرصِفَةُ الظلامِ على المدى. تَلتمُّ أَشرعَةُ
الدُجُنَّةِ في عُيوني. أَمسَحُ الهَولَ المخَبَّأَ في الضَّياعِ
أَغورُ في بَحْرِ الضَّياعِ –
تُميتُ عَيناكِ الجِراحَ ، وتنهَضينَ منَ المحارِ إلى
الضُّلوعِ.
تُهاجِرُ الآفاقُ في وَجْدي وتَنفَتِحُ الطريقْ...

بَيني وبَيْنَكِ أَلْفُ صحراءٍ من الوَهْمِ المحجَّرِ

أَلْفُ جرحٍ... أَلْفُ صَمتْ...
بيني وبَينَكِ زِئبَقُ الهِجرانِ يرحلُ في دمي،
وتُميتُ عيناكِ الجراحَ،
تُبرعِمانِ حدائقًا للعشقِ
مِنْ أَلَقِ البريقْ...

– ٢ –

للّيلِ طَعْمٌ في دِمايَ. لوجهِكِ المفقودِ دَمعٌ لا يُكَفْكِفُهُ سَرابُ الحلْمِ...
كُنْتِ الجرحَ في قلبي
وكُنْتِ خَلاصيَ الممتدَّ عبرَ زمانيَ المنْهوكِ

فِي طَعْمِ الرمادْ،
ومُؤْتَلَقًا يُطِلُّ من السهادْ...
للّيلِ طَعْمٌ في دمايَ/ كأنَّ مجيئكِ المنْحوتَ مِنْ أَلَقٍ
يُفجِّرُ وَجْدَ قلبي، يفتحُ الأَصداءَ، يخترِقُ الحياةْ...
نَبَتَتْ على خطواتِكِ الدنيا
وأَنْشَدَتِ الصلاةْ...

أَرضُ الفجر

– ١ –

بعيدٌ هو الكوْنُ في ظِلِّ عَيْنَيْكِ
والأُمسياتُ التي تَستَكينُ بدِفْئِكِ
تأوي إلى القلبِ مُترعَةً بالأماني...
غريقٌ هوَ السِّحْرُ:
عَيناكِ بَحْرُ نجومٍ
وكَفّاكِ مَهْدُ الندى
فاهْدَإِي!
ليسَ جسْمُكِ مِنْ طينةِ الأَرْضِ
والضوءُ غارَ بأَعماقِ أَرْضِكِ

هاجرَ فيكِ المطرْ...
تقطَّرْتِ في مهجتي قطْرةً قطْرَةُ...
واستحالَ أَديمُ الفؤادِ إلى عُشُبٍ
نابضٍ بالحرارةِ
يُحرقُ صمْتَ الحجرْ...

– ٢ –

عجِبْتُ من الشعرِ كيفَ يصيرُ جِنانًا،
يسيلُ على وَجْدِكِ المستكينْ.
وشَعْرُكِ غُدْرانُ فَجْرٍ
تُبَرْعِمُ...
كُنْتِ أَثيرًا يعلِّمُني النسْكَ،
يَفتَحُ بابَ المنى والحَنينْ...

– ٣ –

غريبٌ هو الكونُ في ظِلِّ عَيْنَيْكِ
يا ٱمْرأَةُ من غِناءِ العصافيرِ،
مِنْ أُقحوانٍ عجيبْ...
كيفَ، حينَ تُطِلِّينَ، لا يَنطوي الليلُ!
فالقلبُ يُعْشِبُ حينَ تمرّينَ فيهِ
ويبقى عليهِ سَناكِ الرطيبْ...
تصيرُ النجومُ يَواقيتَ عينَيْكِ،
يبتدئُ الحُلْمُ فيكِ،
بِحارًا من الوَجْدِ،
أرْضًا من الفجْرِ
والأُقحوانِ العجيبْ...

مَصْهَر

– ١ –

تطلعينَ عليَّ من بَخورِ الجسد
وجهًا
يعلِّمُني الأَشياءَ.
تفتحينَ عينَيْكِ بِحارًا
لرحيليَ التائِهِ،
قُدّاسًا من الدّهشةِ والذّهول —
هَلِّلويا!

– ٢ –

أراكِ

خلفَ احتراقِ الصمتِ على أَرضِ العروق

سحابةً

تثقبُ السّديم.

أراكِ

لغةً من البكارة الجديدة

تعانقُ الأَشياء...

– ٣ –

مُنسحِبًا خلْفَ النفْيِ أُمارِسُ وجْهَكِ

لغزًا في ملكوت الدهشة.

تطعنُ أَحلامي عَيناكِ
وتغرقُ... تغرقُ عبْرَ حطامي...

– ٤ –

مِنْ لغةِ السرِّ يعودُ وجهُكِ
حاملًا لهَبَ الغِياب؛
يتركُ فيَّ فضاءً مليئًا بالأطفال...
وها يداكِ
مِبخرتانِ فوقَ مذْبَحِ الجسد
تبدأان قُدّاسَ الدخول.
ها يداكِ
في بهجةِ التحطُّم والولادة

تهدهدانَ شوارعَ الدمِ المقفرَة.
آهِ، ها يداكِ
ينبوعانِ من النورِ داخلَ الجِلْد
يفتحانِ الرِّتاجَ البعيد
بعْدَ الموتِ والقَهْرِ والفَجيعة...
أَيُّها المصْهرُ الجائعُ
في العروق،
تَهوي في قرارةِ الدم
تتشابَكُ بِأَعضائيَ الجامحة
طَوَفانًا من البرقِ المداهِمِ،
أَعمدةٌ من اللحْمِ والمرم،
سواقيَ شمسٍ تَمخُرُ العُمْرَ...
قُدّوسٌ... قُدّوسٌ...!

الصباحِ الغريب

– ١ –

يرتعش السديمُ.
تخرجينَ من قَهقَهَةِ الأَحلامِ
أَوْ
مِنْ رعشةِ المدى
بدايةً
وقبلةً تنبتُ في الهشيمْ.
عُرْسٌ يزولُ، والخطى
عُرْسٌ يقومُ مِنْ حُطامِكِ القديمْ...

- ٢ -

ينتفضُ الغبارُ مِن تَأَجُّجِ الوَجْدِ وتخرجينَ من عَباءةِ الصحراءِ سَماءَ على أعقابِها تُهاجِرُ الطيورُ في أنشوطةِ الفجرِ.

يداكِ تمسحانِ آخِرَ الغيومِ،

تُمطِرانِ... تُمطِرانِ...

كانَ في غبارِكِ المجيءُ...

كانَ في غبارِكِ الصراخُ والضَّياعُ...

ثمَّ هاجَرَتْ أَحلامُنا في الخَسْفِ، وانبرى الضبابُ مَسْرَحًا لهِجرةِ اللونِ.

تَكاشَفْنا:

صَهيلُ التيهِ لَم يَرْوِ الخطى. هجَرَتْ خُطانا في مَدارِ اللونِ. صِرْنا اللونَ. كاشَفْنا السماءَ غُبارَها،

وقرأْتِ أَرْدِيَةَ النجومِ، قرَأْتِ أحجارَ البساتينِ الجريحةِ، وارتَمَتْ عَيْناكِ جِسرًا في سماءِ الدرْبِ، أَرْضًا في العروقِ، وكُنْتِ عاصفةَ الحروفِ تُمزِّقُ الأَشياءَ،

تَفْتَتِحُ العناصرَ...

كُنْتِ وَجهي

خارجًا مِنْ غَضْبَةِ البرْقِ إلى

أَحزانِ بيروتَ...

يصيرُ البحْرُ صوْمعةً وشَعْرُكِ خَيمةً، والنارُ تَمرَحُ في الخروجِ. يعودُ جسْمُكِ خارِجًا من لَهْفَةِ النيرانِ:

ي و ل ا

هذهِ الأَرْضُ البعيدةُ كاشَفَتْني البُعْدَ فاخْتَنَقَتْ مسافاتُ الضَّياعِ وأَوْغَلَتْ في رؤْيَتي لُغَةً من الجسدِ الجديدْ...

– ٣ –

ويومَ خرجْتِ من البُعْدِ حاملةً في يديكِ الحروفَ،
مُزَيَّنَةً بالشموسِ،
أَفَقْتُ وضَيَّعْتُ قَبري/ رأَيتُ السهولَ طريقًا
تحاصرُ شمسَكِ بالأغنياتِ، ببعضِ كلامٍ رطيبْ،
تسافرُ في العابرينَ،
وكنْتِ الهديرَ يحادثُني في الصباحِ الغريبْ...

وردة اللهب

– ١ –

هُنيهةً
يستيقظُ فيِ وجهِكِ دمعٌ.

هنيهةً
يستيقظُ فيِ وجهي دمْعٌ.

هنيهةً

ينامُ على جَفْنيكِ زُهْدٌ
وبعضُ غاباتٍ ونورْ.

لكنَّ الشمسَ
وجهٌ
يستغرقُ في وجْهِكِ الأَبَديّ...

– ٢ –

هُنيهةً
أُسَمّيكِ غَيمًا

هُنيهَةً
أُسَمّيكِ رَشَأً
أَو
رهجًا من الدوار.

– ٣ –

صفاءٌ.

على رمشيكِ
تنهضُ شمسٌ سُنْبُلِيَّةٌ،

على رمشيكِ
ينمو شفيرٌ
ورِحمٌ
وأثير...

– ٤ –

وعندما تخرجينَ من بين السطور
ترتعشُ أحرُفُكِ –
كيفَ يحلو التعلُّقُ
بينَ الدمعةِ والدمعةِ،
كيفَ تحلو الإقامةُ؟

- ٦ -

هُنيهَةً
يخرجُ من رموشكِ هَوَسٌ.

هُنَيْهَةً
يشتعلُ في رموشكِ بدْءٌ.

لكنَّ المطرَ يمضي
ولا يغسِلُني...

- ٧ -

نسيجُ عينيكِ
مدينةٌ من الصقيع،
مَحارٌ من النجومِ المضيئة.

- ٨ -

ثَمّةَ،
في بدئكِ الأَثيريّ،
أَرتعشُ،
أَتَناسَلُ —
أولدُ فيكِ...

ثمّةَ

في أعصارِكِ السُّنْبُلِيُّ

غَسَقٌ

وانتحارٌ مُضيء.

- ٩ -

كلمةٌ

في أصلِ الغبار.

وجهُكِ اليوم

يقيني –

وجهُكِ اليومَ

سَديمي.

وجهُكِ يغسلُ وجهَ الماءِ...

- ١٠ -

يبقى الحاضرُ

حاضرًا في الزمن الكبير...

يبقى الآتي

وردةً مضيئةً،

مرايا مخضَّبَةً بالبريق.

يبقى الآتي

عودةً إِلى مَدارِ وجْهِكِ.

جنون

- ١ -

ليلٌ يغرقُ في عينيكِ الجائعتينْ.

شجرٌ ينمو في عينيكِ الجائعتينْ.

وطنٌ ينمو...

يكبرُ حتّى الدهشةِ

حيثُ تصيرُ السُّحْبُ لغاتٍ

تقرأُ كلَّ الأَرْضِ!

على هذي الآفاقِ أَطيرُ

إِلى كوْنٍ
فِي الأرضِ الأخرى.

– ٢ –

أَتَقَرّاكِ نجومًا
من لغةِ الوَجْدِ
تُعلِّمُني وَطَني.

– ٣ –

أَبدَأُ فيكِ جُنوني:

هذا العالمُ قَمْحٌ
في أقبيةِ الجوعِ/
يداكِ تجسّانِ عروقَ حُطامي:
يَتَفَتَّحُ فِيَّ الدِّفْءُ الظامي...

أَبدأُ فيكِ جنوني:
صِرْتِ الوطنَ النابِتَ
عَبْرَ خيوطِ الشمسِ البِلَّورِيَّةِ –
بَحْرٌ
وأَنا مركَبَةٌ وشِراعْ.

– ٤ –

صلواتي تُفْني صلواتي:
لا أسوارٌ توقِفُ زَحْفَ العِشْقِ
ولا أَبْراجٌ وقِلاعْ...

قصيدة الجسد

جسدٌ في الأرض يمتدُّ ويفتحُ الفضاء،
والأرضُ لغةٌ للجسد...

هُنيهَةً، ثمّ يصير الكلام نَشوةً
وتسكنُ فيَّ الرعشةُ الغامضة.
هُنيهَةً
ثمَّ يتقطّرُ الكونُ
في لَهيبِ الشفتين...

كانَ الطّوافُ مطرَ النشوةِ حيثُ تتكاثرُ الأَرضُ كعنقودِ العنب. كان الطوافُ يبدأ من حكايةِ الرعشَةِ الغامضةِ، والكونُ حُلُمًا يتدفَّقُ من رَوعَةٍ وحرارةٍ. كُنْتِ أَنْتِ المدى

وكُنْتِ الصاريةَ التي تَخترقُ
عُمقَ الكلماتِ الغريبةِ.

هُنيهَةً
ثمَّ نحنُ على الجسدِ المرتعشِ كالصلاة،
على غمغمةِ الدوار...

هَمَساتٌ على حرارةِ اللقاء.

هَمَساتٌ على حرارةِ الفضاءِ المفتوح...

كُنتِ أَنتِ الحكايةَ الرائعةَ التي تختصِرُ عُمرًا منَ اللُقَيّاتِ الأبَديَّةِ، أَو

قصَّةَ الهَيولى

حينَ تكونُ أَصدقَ مِنْ نشيدِ الملائكة، وفي العيونِ سَفَرٌ، في الحلق صراخٌ رائعٌ/ كُنتِ الحكايةَ، كنتِ الماءَ المنفجرَ مِنْ مَناحَةِ الصخر...

وفي مُنتهى الصمتِ مَرٌّ عَذْبٌ، عيونٌ رقراقةٌ. في الماء صلاةٌ، في الطوافِ حكايةٌ عميقةٌ تختصرُ انزِياحَ الفضاء، أو

رعشةٌ

تصير لغةَ الجسد،
ويتقطّر الكونُ
في لهيبِ الشفتين...

وعندما تحتار الحيرة في هسهسة الهمهمات
تَنْهَلّينَ عَلَيَّ
هائمةً في هُيامي،
مَهموسةُ كالصلاة،
أو
كاللهبِ الطالعِ من طينِ التكوين.

سلامٌ لكِ،
أَيّتها الخارجةُ من غرابةِ الرعشات،
أَيّتها الرائعةُ كعُمقِ الضوء،
أَيّتها العاريةُ كالمطر...
سَلامٌ لكِ
يا رعشةً مضيئةً
تجبيلُ الأَرضَ في حلمٍ جديد،
أَنتِ اللغةُ التي تُضيءُ من اللهيب،
أَنتِ مَنْ يولدُ في شَلّالِ الصلاة...
(شباط/ ١٩٩٢)

فجر

– ١ –

مِنْ فَجرِكِ أَحصدُ وَهْجَ الآتي:
جسدي نَبْعُ بُخارٍ،
عَينايَ سَرابْ،
والباقي سِحرٌ وضبابْ...

– ٢ –

أَجثو في هَيكلِ عَيْنَيْكِ... أُصَلّي...

أَخترقُ الآفاقْ –
كُنْتِ الوعْدَ الحاملَ مِنْ أَشواقِ الماضي
فَجْرَ الأَشواقْ...

ثلاثيّة

- ١ -

تقولُ لي غَمامَهْ:

حَطَّتْ من الصلاهْ،

تَفَتَّحَتْ عَيْنَيْنِ للحياهْ...

تقولُ لي غَمامَهْ:

وَليدَةُ الفَجرِ وِشِعْرِ النهْرْ،

بَعيدَةٌ قَريبةٌ كالدهْرْ...

تقولُ لي غَمامَهْ...

– ٢ –

تسألُني المرايا
عَن قِصّةٍ تَلبسُ وجْهَ الشمْسْ،
تركضُ خلفَ الأَمْسْ،
تُعلِّمُ الغيومَ رِقْصَةَ المطرْ،
وتتركُ الأَمْداءَ غابةً من السحَرْ...
تسألُني المرايا
عَن يَقْظَةٍ للشمسِ مَسحورَهْ
في عَينِكِ الحَوراءْ
سحابةً خضراءْ
تلتمُّ في الأَحلامِ مَأْسورَهْ...

– ٣ –

لَو أَنَّ لي أَنْ أَجْمعَ الشموسَ مِنْ يَدَيْكِ،
أَغيبَ في بحارِ عَينَيْكِ،
أُلاحِقُ الطيورَ والصباحْ،
أَقْطِفُ مِنْ زَهْوِكِ رعشةَ الرياحْ...
لَوْ أَنَّ لي... لَو أَنَّ لي...
أُطاردُ الأَمطارَ والرعودْ...

لَو أَنَّني غَمامَهْ
أَرحَلُ في غاباتِ عَينَيْكِ عَلامَهْ
وَأَسكُنُ الخلودْ...

عِشق

– ١ –

تَخترقينَ كثافةَ هذا الصمتِ
وتَنبَثِقينَ وُصولًا...
يَحترقُ الموجُ على شَفَتَيْكِ.

هُنا أَصطادُ الموجةَ مصلوبًا
في بُرْجِ العِشْقِ،
وبينَ الموجَةِ والموجَةِ
يَنْبتُ وَجْهَكِ

حَقْلًا لِضَياعي
تَخترقينَ كَثافةَ هذا الصمتِ
وتَحْترفينَ العَشْقْ...

– ٢ –

تَسأَلُني عنْكِ حِجارُ الدارِ
وينتحِرُ النَّفْيُ على عَيْنَيْكِ الجائعَتينِ.
يعودُ الحُلْمُ مِنَ الغَيبوبَةِ،
يَزْني صَمْتُكِ، يَزْني...
مَجنونًا في عَيْنَيْكِ أُفَتِّشُ عَنْ لُبْنانْ...

– ٣ –

يَنتحرُ العُشّاقُ

وَيَغتسِلُ الليلُ بِعينَيكِ

ويغْتَسِلُ الرفْضْ.

أَرجِعُ أَمطارًا

تَغسِلُ وَجْهَ الأَرْضْ...

صلاة

- ١ -

تَجَلّيكِ الذي ٱشْتَفَّتْهُ آفاقي تَوَلَّدَ فِيَّ أَسرارًا منَ اللغةِ البَتولِ، أرى أرى عَينيكِ مِبْخَرَتَيْنِ،
أَسقُطُ في نَسيجِ الزُّهْدِ أَعمدةً تُحاصِرُ صَمْتَكِ المسكونَ بالآفاقِ، تفتَتِحُ الوعورَ.
هُنا أَصيرُ على لَظى شَفَتَيْكِ
حَرْفًا لِلحَنانِ،
أَموتُ في شَفَتَيْكِ.
مُدّيني إِلَيْكِ وَشَرِّعي قلبي.
تَجَلّيكِ الذي اشْتَفَّتْهُ آفاقي
يصيرُ وعورَ آفاقي،

يصيرُ الليلَ والأَسْحارَ،
يَشربُ صَمْتَ أشواقي،
وعيناكِ التَّأَلُّقُ في هَديرِ "الحرْبِ"،
عيناكِ السلامْ.
كَفَّاكِ صاعِقتانِ للغفرانِ،
دالِيَتانِ للحُبِّ المعرِّشِ بالعروقِ.
مُهاجِرًا في لَيْلِ عَيْنَيْكِ
ٱشْرَبيني:
إِنِّي أَمُدُّ إِلَيْكِ صارِيَتي
وَأَخْتَصِرُ الكلامْ...

– ٢ –

ما زِلْتِ في عَطَشِ الترابِ مَنابِعًا – عَيْناكِ دالِيَتانِ
مِنْ لَيْلٍ يُهاجِرُ في عروقِ الفجرِ
يَفْتَتِحُ الدروبَ.
وَكُنْتِ طيفًا موغِلًا بالحُلْمِ،
أَرْضًا مِنْ ضَياعٍ موصِلٍ كالتيهِ، نَجْمًا...
كُنْتِ أَشْرِعَةً تُهاجِرُ في بِحارِ مَرارَتي حَمَلَتْ إِلَيَّ
الحُلْمَ، شَرَّعَتِ القصائدَ والصلاةْ.

– ٣ –

بَحْرٌ حَنانُكِ يَغْسِلُ الجرْحَ المؤَصِّلَ.
كُنْتِ فردَوسي

يُداهِمُ في العَشِيَّةِ سِرَّ أَحْزاني
وَيَخْتَرِقُ الجليدْ،
وَالوَجْدُ صَوْمَعَةً
تُغَطّي قُبَّةَ الآفاقِ
وَالعُمْرَ الجديدْ...

– ٤ –

عَيْناكِ تَغْتَسِلانِ في قَلْبي
ويرْحَلُ فيهِما سِرُّ الحَياهْ.
عَيناكِ مِبْخَرَتانِ،
صاعِقَتانِ في غَيْمِ الصّلاهْ...

الرحيل إلى مدائنِ العشق

– ١ –

هكذا تبدَإِين...
سِرًّا في قلبي يعلِّمُني كلَّ الأَسرار.
هكذا تَبدَإِين
أُنشودةً للماءِ وذاكرةً للطبيعة.
تَخرجين
مِنْ نُعاسيَ الحجريِّ،
عذراءَ تعلِّمُني سِرَّ العبادةِ.
تنبثقينَ

مُتوَّجَةً بالشمسِ الناهِضَة،
حامِلَةً إِلى تُراثيَ المغطّى بغيومِ الهَباء
صاعِقَةً للحنان
تَسيلُ منْ بِحارِ عَيْنَيْكِ –
أَيَّتُها الخاطئَةُ القِدّيسةُ،
أَيَّتُها الكبيرةُ... كالأَطفال،
لَيْتَ أَنّي لَمْ أَكُنْ قَبْلَ أَن تَكوني...

– ٢ –

أَتَعَلَّمُ منْكِ السَّفَرَ في مَجاعةِ الهوى
وكَيْفَ أَسْترجِعُ العصافيرَ والطبيعةَ،

وكيفَ أَذوبُ غَيمةً فوقَ قلْبِكِ،
أُبَلِّلُ تُرابَهُ بِحياتِيَ الجائعة.
أَكتَشِفُ الغرابةَ فيكِ
وَالأَطفالَ في حدائقِ وجْهِكِ،
يا قَلْبًا دافِئًا
عَلَّمَني مَنْ أَكونُ.

– ٣ –

سُنْبُلَةً رماها الهواءُ إلى تَهاوِيَّ،
تَهاوَتْ مَعي،
تَحترقينَ في ظِلِّ اللجوءِ،
تُحَطِّمينَ وجهيَ القديمَ بدَمْعِكِ الراحل

فِي سَواقي قلبي.
سُنْبُلَةً في جُموحي تَطْلعين،
تُحاصِرينَ يقظَتي بالأَحلام،
تغسلينَ جوعر،
تُبَرْعمين.
هائمةً، تَعبرينَ الفراغَ
دَرَجًا منَ الصعودِ والشمس،
أُقنومًا رابِعًا مِنْ أَقانيمِ الله...
فَآهِ، آهِ...
لَيْتَ أَنَّكِ لا تَغيبين...

- ٤ -

طويلةٌ هيَ الصلاةُ في جوعِ الروح!
لِعَيْنَيْكِ هذا الليلُ الجميلُ.
لِقَلْبِكِ رائحةُ الغاباتِ والوَعْرِ.
في حضورِكِ المتهدِّل
كُلُّ هذا الموت والعودة.
تَخرجينَ منْ قَرارتي
حُلمًا بحجمِ النور
يَمْسَحُ عَنْ خَرائبي شَجَرَ الظلام،
يَفْتَحُ سواقي الضوءِ في قلبي،
يَبدأ... يَبدَأُ...
حامِلًا أَلَقَ العودةِ الجديدة،
وَأَرَجَ اللُّقَيّا،

أَيَّتُها الخالِقَةُ المخلوقة،
أَيَّتُها الخاطئةُ القِدّيسةُ الخَطايا...

– ٥ –

يا امرأةَ التوبةِ والغفران،
يا امرأةَ الوجْدِ المضيء،
يا امرأةً تسكنُ أَحشائي،
لَو أَنَّ لي في لَيلِ عَيْنَيْكِ وَشْمًا
أَقْطَعْ حِبالي بِمدى صَمْتِكِ
وَأَبْدَأُ انْتِحاري.
يا امرأَةَ التَّحَطُّمِ والولادَة،
شُدّي إِلَيْكِ أَنقاضي

واحْرِقيني!

– ٦ –

تَخرجينَ من صَخرةِ النوم
أَمَلًا يبدأُ كِتابَ الحياةِ.
أُعْلِنُكِ قَدَري.
أُمارِسُ فيكِ جنوني.
أَنحدرُ بين دموعِكِ وفرَحِكِ
قَطرةً
قَطرةً...
أَشربُكِ؛
وَأَنتِ كَوثَرُ الجنَّةِ في جِراحي

فآهِ! آهِ!

لَيْتَ لَيتَ أَنِّي لَمَ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ تكوني.

– ٧ –

أَرتَشِفُ عَينَيكِ.

أَنحدرُ منهما دَمعًا

يَغسِلُ جِراحَ الأَرضِ.

– ٨ –

أُعَلِّمُ السديمَ تاريخَ الدخول.

أُصَرِّحُ:

تاريخُ الدخولِ يبدأُ منْكِ،
وتبدأُ السماءُ...

– ٩ –

هكذا،
مَسْكونًا ببكارَةِ الدهشةِ،
أَستغرقُ في عالَمكِ الجديد،
أَنْحَلُّ كَوْثَرًا يَغسلُ دموعِكِ،
يَمسحُ عنْكِ بَصَماتِ الأَلَمِ،
أَترُكُكِ
يُحاصِرُكِ أَلفُ لونٍ ولون،
يُحاصِرُكِ قلبي...

تَهَلَّلي،
فَرِباطُنا لا تَمحوهُ المسافةُ!
أَستَيقِظُ من عطَشِ تاريخي
راسِمًا فيكِ أَرضًا جديدةً
مِن لغةِ الوَجْدِ،
منَ الأثيرِ الممتدِّ مِلْءَ عَينَيْكِ —
قُدّوسٌ...
قُدّوسٌ...

– ١٠ –

تستيقظُ مرارةُ أَحشائي،
ترحلُ مِلْءَ دموعِكِ —

هذه النجومُ المنحدرةُ
عيونٌ للأثيرِ تفتحُ فضاءَ الجسد،
تخترقُ الدمَ المخثَّرَ
إِلى أَرضٍ من الدّفءِ والحنان.

هكذا
أَمنَحُكِ وَسْمَ العاشِقةِ،
وأُعْلِنُ تاريخَ الرفض.
أُعلنُ: أَنَّ الأَرضَ لا تصيرُ أرضًا
إِلّا إذا اغتسلتْ في ليلِ عينيكِ.

- ١١ -

هكذا تبدإين...

خارجةً من بخارِ قلبي،

راسيّةً في أقصى الكيان

طَعْمةً لعبورٍ بعيد

يَمنحُنا أَجنِحةَ الضوء،

وتاريخَ الزهوِ والفرَح —

يمنحُني إِيّاكِ...

وَأَسْتيقِظُ مَغْلولًا بالحلم السعيد،

مربوطًا في أقصى الوَجْدِ والفرَح،

أَجسُّ الأَشياءَ حولي

لعلّي أَشعرُ بحرارةِ يديكِ —

يا زَهوَ الطبيعةِ،
يا عالمَ الرفْقِ والأَطفال،
توَكَّإي على فؤادي
واحترقي...

– ١٢ –

هكذا تبدإين
من تاريخٍ جديد كالضوء.
هكذا تبدإين
مليئةً بالأسرار والطفولة،
تَخترقينَ جذورَ الأَشياء
إلى بدايةٍ بحجمِ كِياني...

يَدَكِ، آهِ، يَدَكِ،
أَبْدَأْ مَعَكِ ملكوتَ العالمِ الجديد،
مُحاصرَينِ في الفجر،
محاصَرَيْنِ في قوسِ قزحَ...
يَدَكِ، يَدَكِ،
نَبدَأْ أَبجديّةَ الرحيل
حيثُ الأَشياءُ أَشَدُّ امتلاءً،
حيث يصير الجسدُ
بُخارًا وطفلًا
يَفتَحُ السماءَ للآتي...

- ١٣ -

دَعيني أَرْحَلْ في سَواقي شَعرِكِ
أَتَعَلَّمِ الغَيبوبَةَ...
دعيني... دَعيني...
إِنَّ في مدى عينَيكِ أَلفَ رحيلٍ.
إِنَّ في قرارِكِ عِشْقًا لا يَهدأ.
دَعيني... دَعيني...
فيكِ أَتَعَلَّمُ الطفولةَ،
أَستقْبِلُ اللهَ الضائعَ،
أَيَّتُها الطفلةُ الجريئة،
أَيَّتُها الشمسُ التي تُبَرْعِمُ في قلبي.

- ١٤ -

مِن هنا تبدإين.
تُكَلِّلُكِ أَلفُ شمسٍ،
تزرعينَ النجومَ في أَحشائي
وَأَنتِ مِرْآتي
تَسْحَبينَني من العالمِ إلى الغيبوبةِ الإلهيّةِ
حيثُ أَستقبلُ وجْهَكِ،
صاعِدًا من النور،
داخِلًا النورَ،
جسدًا جديدًا
يعلِّمُني سرَّ الجسد.

- ١٥ -

هكذا تبدإين
لُحْمةً ورَأْبًا...
قلبُكِ يُحاصِرُ كائني.
أَراكِ دانِيةً،
تزرَعينَ في أَحشائي غِبْطةَ الحضور –
رسولةَ الينابيعِ والضوءِ،
تمسحينَ عَنْ عَيني بِقلْبِكِ جِراحَ القَهْرِ والفجيعة.
دانِيَةٌ... دانِيَةٌ...
من بَهاءٍ في السماءِ غَريب.
تقطفينَ أَلحانَ الحبور.
تَستَلْقينَ على عَينيّ
ملاكًا من الرحمةِ والحنان...

دانيةً... دانيةً...
رسولةَ الفجرِ والملائكة،
تُزهِرينَ أَطفالًا،
تَبدإينَ سِرَّ التاريخ.
قُدّوسٌ...
أُغنيةً خالدةً تَخرجينَ من حَناجرِ الأَبَدِ.
قُدّوسٌ...
أَركَعُ في كَنيسةِ حضورِكِ،
أَقرأُ إِنْجيلَ حُبِّكِ بِزَهْوِ الملَكوت.
قُدّوسٌ...
أَحملُكِ كَنيسةً في صَحوي،
فالآنَ تَبدأُ الأَرضُ.
أَحْمِلُكِ كَنيسةً في صَحوي

أنا الخاتَمُ، أَنا الأَحلامُ،

والآنَ عُرْسُ الأَرض...

(١٩٨٠)

أدخلُكِ أَتّونًا يُحرقُني

– ١ –

يَخرجُ وَجْهُكِ منَ السديم.

تَبدإينَ من غَيبوبةٍ عَميقةٍ كالضوء،
مِن وَهْجٍ أَسمَرَ في ليلِ عَينَيْكِ،
تَبدإين
مِنْ آخِرِ البُعدِ مَسكونَةً بالصَّخَبِ الهادئِ
جُرْحًا يَلْتَمُّ حَوْلَ أَعضائي،
فآهِ، آهِ، اهْدَإي!

– ٢ –

أَلْتَقيكِ في الغربةِ وَجْهًا مُشَجَّرًا بالزَّيزَفون
يَفتَحُ أَعماقي...
أَلْتَقيكِ زَهرةً في مَدارِ النارِ رَماكِ الهواءُ — احترَقْتِ
معي.
تلتَمّينَ أُنشوطَةً للأَبديَّةِ،
حَنْجرَةً من الأَثيرِ تفتحُ بابَ الضباب.
نستيقظُ في رحيلِ الجرح
فارِهينَ، يجرُّنا التيهُ
إلى غيبوبةٍ عَبْرَ آخرِ الدنيا...
قُدّوسٌ!
أَخْترقُ نُحاسَ الغربةِ نَحْوَ وَجهِكِ الصامتِ؛

أَدْخُلُكِ لَهَبًا يَحترقُ فيكِ.

أَدْخُلُكِ

حَرْفًا حَرْفًا يَلْتَمُّ في كِتابِ الجسد،

حَنْجرةً يَزْني فيها الصمْت...

قُدّوسٌ!

هادئةً كالهواءِ تمُرّينَ على وجهيَ الجائعِ؛ تستَرْسِلينَ فيهِ مَطعونةٍ بالمفاجَأَة. تَدْنينَ بِصَمْتِكِ من لَهَبِ أَلفاظي، وتَحْترقينَ عُضوًا عُضْوًا...

بين وبينَكِ كلُّ عَوالِمِ عَينَيْكِ تَدْخلُها الأَيائلُ مستسلِمةً للفجرِ الهاربِ. تَختبئينَ في حَنانِ الغيبوبةِ،

وها نبدأُ —

نَمُرُّ بِأَزهارِ الأَرَجِ في عروقِنا،

نسجدُ في أَتّونِ الدمِ الملتَحِم،
ننظرُ أَمامَنا حُطامَ الساعةِ الرماديّةِ،
نَنْحَدِرُ... نَنْحَدِرُ...
إلى
سُلَّمِ العُمْقِ
وَريدًا جديدًا،
أَرضًا بِكرًا؛
قُدّوسٌ! قُدّوسٌ!

– ٣ –

كُنْتُ في وجهِكِ بدْءًا جديدًا

يستسلِمُ لريشةِ حَنانِكِ،
يبدأُ... يَبدَأُ في حَنانِ نارِكِ.
مُمَدَّدًا في تَعَبِكِ البِكْرِ
أُفَتِّقُ عُمْرَكِ المسجونَ خَلْفَ الجوعِ والعطش
أُهَدهِدُ صَمْتَكِ،
أَيَّتُها الخاطئةُ القِدّيسة،
أَيَّتُها المدينةُ الجديدةُ،
فاستسلِمي...

– ٤ –

إِنّني أَبدأُ اليومَ عُرْسَ انْتِظارِكِ

مُسْتَقْبِلًا طَيْفَكِ البِكرَ.
أَكْسِرُ هذا الجليد
وأَرحَلُ في غفْلَةِ القبْلَةِ الدافئَهْ.
كُنْتِ تَأتينَ من لَهَبِ الشوقِ
سِرًّا كبيرًا
تُبَرْعِمُ فيهِ السُّنونَ،
وكُنْتِ ارْتِدادًا عميقًا إلى الدوحةِ الهادئهْ.
تَهاوَيْتِ عُمْرًال تَفَتَّحَ فِيَّ،
تَهاوَيْتِ سِرًّا سَحيقًا
تَهاوَيتِ، آهِ! تَهاوَيْتِ
فاستَسْلِمي واسْتَكيني.

– ٥ –

ينفتِح الفجرُ خلفَ حُضورِكِ الشَّفيف،
يستَيقِظُ البرْعُمُ والنَّيْلوفَرُ...
قُدّوسٌ!
أَراكِ في نَبْضِكِ الصامتِ،
أَيُّها الفَمُ الغائبُ خَلْفَ زَهْوِ السديم،
مُلْتَفَّةً بالعبيرِ تَنْطَلِقينَ بي
إِلى مَدائنَ في آخرِ الدنيا.
أَرتَديكِ عُمرًا يبدأُ مِنْ ضَحالَةِ النهاية
مَصْهَرًا يغلي في أتّونِ الدم —
أَدخُلُكِ أَتّونًا يُحرِقُني.
قُدّوسٌ!

مِنْ كَنيسةِ عينيكِ يَنْداحُ الفَجرُ.
أَفْتَحُ قلبي لِحنانِكِ الدافئ،
أَستَرْسِلُ في أَدْغالِ شَعْرِكِ –
قُدّوسٌ!
أَيَّتُها القديمةُ كالبدْءِ، الجديدةُ كالعُبور،
تَخترقينَ جِلْدي جَسَدًا جائعًا.
تترُكينَ خَلْفَكِ الرمادَ واللَغْطَ،
تَفتَحينَ الرتاجَ البعيدَ
هالةً تلتمُّ فوقَ أُنشوطَةِ الأَبَد –
قُدّوسٌ!
هوذا العرسُ الكونِيُّ،
وها نَحنُ في تَرْنيمةِ الأَجراسِ

أُهزوجةُ تَنْجذِرُ في ضميرِ الأَشياءِ
أَعْمقَ مِنْ أَبَد...

(١/ كانون الثاني/ ١٩٨٠)

سنبلة المصير

– ١ –

تَتقاطَعُ الطرُقاتُ في وجهي وتبتدئُ الزوايا مِن سَديمٍ موغِلٍ في البُعْدِ يرسمُهُ فؤادي. كُنْتِ مَوْجًا مِن نُجومٍ ترحَلُ الأَشياءُ في دَمِهِ وتَنْتَحِرُ العناصِرُ.

كُنْتِ هذا الصمتَ يأتي مِنْ أَساطيرِ الغرابةِ.

كَيفَ يُشعِلُكِ انْبِثاقُ الوَجْدِ،

يُشعِلُكِ السديمُ؟

وتبدإينَ عَناصِرَ الشرقِ الجريحِ، تُعاوِدينَ وِلادةً لا تنتهي... تتوكَّإينَ على المفاصِلِ. هَدْهِدي حُزْني

ومُرّي فوْقَ هذا الجرْحِ، مُرّي في ضلوعي

وارْسُميني
صَحْوًا من الغيبِ البعيدِ.
هُناكَ تَبتدئينَ... تحْترقينَ... تبتدئينَ...
تَحترقينَ أَضلاعَ العناصرِ. تتركينَ بَلاسِمًا فوقَ ٱلْتِهابِ القَهْرِ. تنتفِضينَ في قَلْبي
وينتفِضُ الشروقُ/ يسيلُ جوعُ حَنانِكِ المفقودِ
يَلْتَهِمُ الفؤادْ...
تتَمدَّدينَ رُؤًى وآفاقًا
وأَجسادًا منَ اللغةِ الجديدةِ
زَوْبَعَتْ لغةَ الرمادْ...

- ٢ -

كالبحرِ، كالأُفُقِ السحيقِ تنامُ في قلبي/
كُنْتِ السبيلَ يخُطُّ في قلبي مداراتِ النجومِ
وكُنْتِ قلبي
يَفْتَحُ الأبعادَ لِلوَجْدِ الجديدِ. يُفَجِّرُ الأَشياءَ.
تغْتسِلُ الشموسُ بعينِكِ الحَوْراءِ، يرتجِفُ السديمُ.
تَميدُ حَولَكِ أَبْجديّةُ هذهِ الأرضِ الغريبةُ:
تَبدإينَ الشرقَ مِنْ فَرَحٍ عَميقٍ مِنْ رَحيلٍ غاسِلٍ كالنارِ.
تنبثِقينَ في قَلْبي. تُعادينَ المصيرَ وَأَنْتِ أَنْتِ مصيريَ المفتوحَ للآفاقِ. خارجةً من الزَّفَراتِ
تَنبثِقينَ سُنْبُلَةً تُبَلْسِمُ كُلّ أَحزاني
وتجتاحُ الجليدْ...

والشمسُ في نَظَراتِها
لُغَةٌ منَ البَدْءِ الجديدْ...

(٢٣/ آذار/ ١٩٨٠)

الفهرس



خارجةً من الزَّفَراتِ

تَنبثِقينَ سُنْبُلَةً تُبَلْسِمُ كُلّ أَحزاني

وتجتاحُ الجليدْ...

والشمسُ في نَظَراتِها

لُغَةٌ منَ البَدْءِ الجديدْ...